

تفسير ابن كثير

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ
مِّنَ الدُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا

وقوله : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء
الحسنى ، نزه نفسه عن النقائص فقال : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك) بل هو الله الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا
أحد . (ولم يكن له ولي من الدل) أي : ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو
مشير ، بل هو تعالى [شأنه] خالق الأشياء وحده لا شريك له ، ومقدرها ومدبرها
بمشيئته وحده لا شريك له . قال مجاهد في قوله : (ولم يكن له ولي من الدل) لم يحالف
أحدا ولا يبتغي نصر أحد . (وكبره تكبيرا) أي : عظمه وأجله عما يقول الظالمون
المعتدون علوا كبيرا . قال ابن جرير : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني أبو صخر ،
عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية ،
قال : إن اليهود والنصارى قالوا : اتخذ الله ولدا ، وقال العرب : [لبيك] لبيك ، لا شريك

لك ؛ إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك . وقال الصابئون والمجوس : لولا أولياء الله لذل . فأنزل الله هذه الآية : (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) وقال أيضا : حدثنا بشر ، [حدثنا يزيد] حدثنا سعيد ، عن قتادة : ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم أهله هذه الآية (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا) الصغير من أهله والكبير . قلت : وقد جاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها آية " العز " وفي بعض الآثار : أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة . والله أعلم . وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا بشر بن سيجان البصري ، حدثنا حرب بن ميمون ، حدثنا موسى بن عبيدة الربذي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن أبي هريرة قال : خرجت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم ويدي في يده ، فأتى على رجل رث الهيئة ، فقال : " أي فلان ، ما بلغ بك ما أرى ؟ " . قال : السقم والضربا رسول الله . قال : " ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضرب ؟ " . قال : لا قال : ما يسرني بها أن شهدت معك بدرا أو أحدا . قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال : " وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع ؟ " . قال : فقال أبو هريرة :
يا رسول الله ، إياي فعلمي قال : فقل يا أبا هريرة : " توكلت على الحي الذي لا يموت ،
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن
، وكبره تكبرا " . قال : فأتى علي رسول الله وقد حسنت حالي ، قال : فقال لي : " مهيم
" . قال : قلت : يا رسول الله ، لم أزل أقول الكلمات التي علمتني .إسناده ضعيف وفي
متنه نكارة . [والله أعلم] .آخر تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة.